مناظرته علماء المذاهب وتشيّع السلطان إثرها:

كان السلطان المغولي محمّد ـ المعروف بخدابنده ـ قد اعتنق الإسلام، وتديّن بالمذهب الحنفي، ثمّ حدث أن عرضت له مسألة فجمع لها فقهاء المذاهب الأربعة، فاختلفوا وأطالوا البحث، فلم يرضه ما سمع منهم، فذكر له أحد وزرائه عالم الشيعة ابن المطهّر، فقالوا له: إنّ له مذهباً باطلاً.

فقال: حتى يحضر، فبعث إليه، وجمع السلطان علماء المذاهب، فلمّا دخل ابن المطهّر أخذ نعليه بيده ودخل المجلس، وقال: السلام عليكم، وجلس عند السلطان ولم يكن السلطان قد رآهُ قبلها.

فقالوا للسلطان: ألم نقُل لك إنّهم ضعفاء العقول ؟!.

فقال: سلوه عن كلّ ما فعل.

فقالوا: لِمَ لَمْ تخضع للسلطان وتركتَ الآداب ؟!.

وكان من مراسم السلطان أنّ الداخل عليه ينحني له أو يُقبّل الأرض بين يديه.

فقال: إنّ رسول الله ﷺ كان سلطاناً وكان يُسلّم عليه، وقال الله تعالى:

﴿ فإذا دخلتم بُيوتاً فسلّمُوا عَلَى أنفُسِكُمْ تحيّةً مِنْ عِندِ اللهِ مُبارَكةً طَيّبةً ﴾[1].

ولا خلاف بيننا وبينكم أنّه لا يجوز السجود لغير الله.

قالوا: لِمَ جلستَ عند الملك ؟!.

قال: لم يكن مكان غيره.

ثمّ سأله الملك عن مسألته، فأجابه فيها بجوابه فألزمهم جميعاً، واتّسع البحث فتناول مسألة الإمامة، وكان بين المناظرين نظام الدين عبدالملك المراغي الشافعي، فأفحمهم ابن المطهّر وأثبت عقيدته بالأدلّة والبراهين القاطعة، فشهد نظام الدين بفضله، وأعجب السلطان بما سمع منه، فأعلن تشيّعه في ذلك المجلس، وأقام مذهب أهل البيت عليهم السلام، وخطب بأسمائهم، وضُربت بأسمائهم السكّة.

ثمّ عزّز مكانة ابن المطهّر، وأجرى بخدمته (المدرسة السيّارة) تتنقّل معه في أنحاء البلاد فيخطب ويعلّم ويدرّس ويؤلّف، فكان رائد الإصلاح الديني في عصره. ومع ذلك لم ينس السلطان علماء المذاهب الأُخرى ولم يبخسهم حقّهم احتراماً للعلم والدين، وقد شهد المؤرّخون له بالعدل وحسن السيرة واستقرار بلاد الإسلام مدّة حكمه، فلمّا توفّي عاد طيش المغول وسفكهم للدماء[2].

---

(١) النور ٢٤: ٦١.

(٢) تاريخ ابن الوردي ٢: ٣٨١ أحداث سنة ٧١٨ هـ.